يعودون مرة اخرى · ومرة اخرى نطردهم بعد غد · وفي النهاية نعقد اتفاقا : ثلاثة ايام هم هنا ، وثلاثة ايام في التلال ، ثم يتعلق الامر بمن يعاف اللعبة اولا » ·

« لم تعد هذه حربا ، انها لعبة اطفال » · ادلى برأيه النائم الذي كان قد تمطى لتوه ، وهو شاب جميل الشعر اشقر الشارب ، وكوفيته حمراء معقودة حول عنقه بنفس الاهمال المنسجم مع المشهد ، ويبدو عليه جيدا ان امه كانت لا تزال قبل اشهر قليلة توبخه بشدة كلما كان يعود الى البيت متأخرا ·

« اين تلك الايام » ، قال شخص نحيف · غابي ، وهو من اولئك الذين نشأوا بيننا والنظارات الشمسية فوق انوفهم ، شعورهم لم تمشط مرة ، ووجوههم لم تغسل ، ويسيل المخاط من انوفهم ، فينشقونه الى ان تهرع الاصابع والاكمام بكامل طولها للنجدة ، وينهمكون ابد الدهر بآلة ما (وكان رامي المدفع الرشاش هذه المرة ، قالها منهيا بيده كمن يرمي شيئا غير ذي قيمة خلفه · والى ماذا ترمز كلماته اذا لم تكن الى اننا قبل شهر او شهرين ، فقط ، كنا نفرك ايدينا مستدفئين في كنف سياج الصبار قبل الانطلاق ، والسكوت الذي كان يسود عندها كان سكوتا اخر · سكوت لئلا يخرج الصوت فينفضح امرنا ، لئلا يخرج الخوف ويصرخ فيكبل ايدينا وارجلنا ، وبأن الحظ الذي انقذ حياتك حتى اليوم لن يخونك هذه المرة ، وانه كان يسخر منك حتى الان ـ سكوت ما قبل المعركة المخجل المتوتر ، والتعلات الصغيرة والملتوية لتجاهله ـ فكم جميل ورائع ان نجلس اليوم ونقول باهمال : اين تلك الايام ، مجازا لـ : آه لقد مرت الايام العظيمة ·

وبالطبع ، فاننا لم نجتهد لتفسيرات مختلفة · حتى ولو لم نبدأ · ولم نسمع مما قاله سوى : وبعد ، ما هذه الجلسة العبث ـ الامر الذي سرعان ما عبرت موافقتنا الصريحة عليه بالنظرة التي رمقنا بها بطلنا مويشي ، والمشكلة انه كان لا يزال مستلقيا على ظهره ويمضغ البسكويت ، ويعتصر عينيه في وجه السماء المتوقدة فذهبت نظرتنا عبثا · وسرعان ما اتضح لنا ان لا شيء يستحثنا · كما اتضح ان الحياة تأخذ مجراها سواء كان ذلك على هذا النحو او ذاك · فمن حالفه الحظ يستلقي على ظهره ويتمتع بعالمه ، ومن لم يسعفه فانه لا يدين لاحد بشيء ، حين يلفه النسيان ويكون كمن لم يكن · فأي يوم جميل يجالسنا · وهذا السهل يمتد امامنا · لقد انجذبنا اليه فجأة وكنا ننعم النظر فيه بتثمين شهواني ، كمن يثمن مهرة اصيلة ·

« كم من الدونمات هنا ؟ » قال غابي ·

« بضعة الاف طيبة » ، اجابوه · وسرعان ما رحنا نمنحها ما شئنا من مقاييس ، متحدين الاف وعشرات الالاف من الدونمات هنا وهناك بخبرة وبساطة ، معبرين ببرمة شفتين واسعة حولها · فنذكر ونتذاكر امورا تتعلق بالاراضي الثقيلة ، والثقيلة نوعا ، وفي النزاز والسلاج ، وتصريف المياه والري بشكل عام · بل وافترض احد ان ثمة في هذه الارض مستنقعا ، وفي المستنقع بطا ، وسنصطاد البط ، ونقطع رأسه وننتفه ثم نشويه على السفود ، ثم نحضر القهوة وعدة فتيات ، ونغني ونبتهج ونستمتع بالحياة · ومن تحتنا ، كانت الارض مقسمة بالاسيجة الشجرية الى مربعات واسعة وضيقة ، منقطة هنا وهناك ببقع خضرة داكنة ، وهنا وهناك مكورة بقمم الاشجار الكروية ، وبالتلال الموشحة بزهر « الصفير » ، وبالقسائم المحروثة هنا وهناك ـ كان السهل مفروشا بالسكينة ، ولا يخجله شيء ، ولا اثر لآدمي على الارض ، ونشيد أرض خصبة يرنم بالازرق والاصفر